

مُقَدِّمَةٌ

تزايد الحاجة - ونحن على أبواب القرن الحادى والعشرين ، وما يفرضه علينا من تحديات وضروريات - إلى حماية أطفالنا من المخاطر القادمة ، وتهيئتهم للحياة المستقبلية . مما يوجب إعادة النظر فى تربيتهم على أسس تأخذ فى الاعتبار تطورات المرحلة القادمة ،والتي بدأت تتلاحق من الآن . ولعل أهم هذه التطورات وأخطرها ما يطلق عليه الغزو الثقافى ، والذى تستخدمه الدول المتقدمة - بعد الغزو العسكرى - لطمس هوية الشعوب النامية ، وفرض سيطرتها الفكرية والاجتماعية عليها .

ولقد أصبحت التربية السياسية للأطفال فى عصرنا الحالى أمراً بالغ الأهمية بالنسبة لمسار الأمم وتقدمها . وتتطلب سرعة الأحداث الجارية هنا وهناك أن يصاحبها مشاركة فعلية من الشباب فى تشكيل وصنع المستقبل، وتوجيه مسار الأحداث بدلا من الوقوف عند مرحلة التأثير بها .. لذا فإن عملية التنشئة السياسية لأطفالنا يجب أن تبدأ فى السنوات المبكرة من حياتهم ، حتى تؤتى هذه العملية ثمارها المرجوة ، وهو ما يحدث فى دول العالم المتقدم . ففى الولايات المتحدة الأمريكية على سبيل المثال يبدأ التعليم السياسى للطفل فى سن الثالثة أى قبل التحاقه بالمدرسة حيث يرتبط عاطفياً برموز بلده ، وهيكلك وصور نظامها السياسى ، ويحدث ذلك كله قبل بداية الوعى السياسى .

وتبدو أهمية التنشئة السياسية لأطفالنا ومراهقينا فى ضوء مايعانيه المجتمع المصرى من فراغ سياسى ، وعدم اتفاق أفراده على نظرية سياسية متكاملة ، والتأرجح بين الأنظمة السياسية الدولية المختلفة ، كما تبدو هذه الأهمية كذلك لانشغال كثير من الشباب عن واقعه ، وعدم الاهتمام بمشاكل الوطن وقضاياها والانغماس فى قضايا وأمور هامشية . والأمية السياسية التى تمثل أهم مشكلات الشباب المصرى .

وبالنظر إلى نتائج الدراسات المختلفة لقياس الرأى العام ، نجد أن السمة الأولى الملفتة للنظر هى نقص الوعى السياسى والاجتماعى للأفراد تجاه القضايا المحلية ، أو القومية التى يتعرض لها مجتمعنا المصرى^(١) .

والواقع أن تأثير السياسة ليس مقصوراً على الفرد فقط ، وإنما ينعكس على الأمة بأكملها . فيؤثر على نظام الحكم فيها ، وسياستها العامة . ومن هنا تأتى أهمية

التنشئة السياسية لكل من الفرد والمجتمع . وهو مانادى به الفلاسفة والمفكرون منذ القدم .

ففى القرن السادس قبل الميلاد دعا الفيلسوف الصينى «كونفوشيوس» الدولة إلى القيام بمهمة تعليم الناشئة لخلق نظام إجتماعى سليم يودى إلى قيام حكم صالح . ثم أتى من بعده «أفلاطون» و «أرسطو» اللذان أكدا على أهمية التربية منذ الصغر ، فاعتبر أفلاطون فى كتابه «الجمهورية» التعليم واحدا من أهم أعمدة الدولة الفاضلة ، مشيراً إلى أنه لاسبيل إلى خلق المواطن الصالح إلا من خلال نظام تعليمى سديد . بينما ذكر «أرسطو» فى الكتاب الأخير من سفر «السياسة» أن من ضمن واجبات الحاكم أن يهتم غاية الاهتمام بأمر تربية الأحداث . فالدولة التى تهمل العناية بهذا الجانب تضر بسياساتها .

وفى العصر الحديث نبه «روسو» إلى تأثير الثقافة والتنشئة السياسية على نظام الحكم فى الدولة وسياساتها العامة^(٢) .

كما جاء الإسلام لينظم العلاقة بين الفرد والمجتمع وبين الآباء والأبناء ، فحث الآباء على تنشئة أبنائهم تنشئة سليمة . ونظمت الشريعة الإسلامية الحقوق السياسية للمواطنين ، مما أدى إلى ازدهار الدولة الإسلامية فى عصورها الأولى .

وتتعدد وسائل التنشئة السياسية ومؤسساتها من الأسرة إلى المدرسة والحزب ودور العبادة وجماعات الرفاق مروراً بوسائل الاتصال التى تلعب دوراً هاماً فى نقل وتبادل المعلومات . وتؤثر تأثيراً عميقاً على اتجاهات الفرد والمجتمع ، وعلى الهياكل السياسية وعلى الحالة النفسية لمجتمعات بأكملها ، وأصبحت وسائل الاتصال تلعب أدواراً سياسية عن طريق ماتقدمه من مواد اتصالية ، كما أنها تلعب دوراً مؤثراً فى عملية صنع القرار السياسى .

وقد نص الإعلان العالمى لحقوق الإنسان على أن من حق الإنسان أن «يعلم» ، وعلى ذلك فإن تيسير المعلومات له عن طريق «الأخبار» أمر ضرورى وهام .

وتدرك الحكومات تماماً أنه يتعين عليها لكى تحظى بتأييد الجماهير ، أن تزودهم بالمعلومات والأخبار والحقائق التى تساعد على الاشتراك فى شئون الحكم . ومن هنا فإن الإعلام الحكومى - والتلفزيون أقوى أدواته - يلعب دوراً كبيراً فى نشر

الأخبار والمعلومات ، بخاصة إذا كانت من ذلك النوع الذى يصعب على الإعلام غير الحكومى الوصول إليه وتزويد الجماهير به .

فالعصر الذى نعيشه الآن هو عصر المعلومات والانتقال الحر للأفكار . هو عصر ثورة الاتصالات . والأمم التى تغمض عينيها عن تلك الثورة ، ولا تتعامل معها بإيجابية، ولا تتفاعل معها بعمق ، ستجد نفسها عاجزة عن فهم العصر الذى تعيشه ، وتغزل نفسها عن مسار العالم الذى أصبح قرية صغيرة .

وترتبط الإستراتيجية الإعلامية فى مصر بالإستراتيجية العامة للدولة ، ومن الأركان الهامة لتلك الإستراتيجية الإعلامية حق المواطن فى الإعلام ، والذى يتمثل أساساً فى أن يعلم وأن يُعلم عنه وفى أن يتعلم ويتشقق ، وأن يروح عنه بإسلوب يتفق وثقافة المتلقى ، وهو ما يعنى الإسهام إعلامياً فى عمليات إعادة بناء الإنسان المصرى .

ولقد شهد التلفزيون المصرى خلال السنوات القليلة الماضية تطوراً هائلاً بخاصة من ناحية الشكل - ارتكز هذا التطور على عدة محاور فى مقدمتها مواكبة ثورة الاتصال ، والبث عبر الأقمار الصناعية إرسالاً واستقبالاً .

ومن أبرز ملامح التطور الملموس خلال عام ١٩٩٠ ، استخدام القناة غزيرة الإشعاع بالقمر الصناعى العربى (عربسات) لبث البرامج التلفزيونية المصرية من القناة الفضائية المصرية الدولية (C. E. I) لتغطى القارة الإفريقية والمنطقة العربية وبعض دول آسيا وجنوب أوروبا . كذلك تأسيس الشركة المصرية للأخبار التى تستقبل إرسال شبكة (CNN) الإخبارية الأمريكية . ثم إنشاء القناة الخاصة للمعلومات التى افتتحت فى نهاية ١٩٩١ . ثم إطلاق الجيل الثانى من القمر الصناعى العربى عربسات والذى سيفتح الطريق أمام وصول الإعلام التلفزيونى المصرى إلى مناطق عديدة .

ويعتبر التلفزيون أقوى وسائل الاتصال وأعظمها تأثيراً . كما يعد قوة تربية ، ومصدراً هاماً للمعرفة والمعلومات . ويمتد دوره ليشمل عملية التنمية السياسية ، فهو مصدر للنخبة السياسية وقناة لنشر الثقافة السياسية ، وتكوين وعى سياسى لدى الجماهير يدفعها إلى الاهتمام بالشئون السياسية وخطط التنمية .

وبعيداً عن تناول الآثار المختلفة للتلفزيون على الطفل ، فإنه من الثابت أن أطفال التلفزيون يتمتعون - بصفة عامة - وفى مرحلة مبكرة بمعارف أكثر تعقيداً عن عالمهم

وعالم الكبار . وأصبح الطفل الذى يعيش فى القاهرة - بفضل التلفزيون - يعرف كيف يعيش أقرانه فى شمال العراق . كما يستطيع الطفل الذى يعيش فى نيويورك أن يتعرف على المملكة العربية السعودية من خلال مايعرضه تلفزيونه المحلى من صور للكعبة المشرفة .

وجملة القول إن الإعلام الحالى - والتلفزيون أقوى وسائله - أصبح جزءاً لا يتجزأ من العملية التربوية للطفل ، وتنشئته الاجتماعية والسياسية ، وتشكيل وجدانه ، وتكوين ثقافته .

والواقع أن التلفزيون المصرى قد أغفل - إلى حد ما - هذه الحقيقة ، حيث تتماهى برامجها التى تخاطب الطفل فى الترفيه ، غافلة بحال «الإعلام» والأخبار والمعرفة ، فى عصر أهم ما يميزه هو المعرفة والمعلومات . فالمعلومات والمعارف المتدفقة ، من كل صوب تحيط بنا فى كل مكان . ولا بد من استيعابها والتعامل معها .

وفى المرحلة الراهنة من تاريخنا المعاصر نحس باحتياج حقيقى لتزويد الأطفال بالأخبار وخلفياتها - إذ إن هذا اللون من الإعلام أصبح ضرورة حتمية ، بخاصة فى ظل التغيرات السياسية والاجتماعية التى شهدتها - ويشهدها - العالم فى السنوات الأخيرة .

وتزويد الأطفال بالأخبار وبما يحدث فى العالم يكوّن لديهم حصيلة معرفية بالغة الأهمية تجعلهم يواكبون عصرهم ولا يتخلفون عنه ، ولاتقف بهم معلوماتهم عند عتبات الماضى .

ويقدم التلفزيون المصرى منذ عام ١٩٨٣ نشرة أخبار خاصة للأطفال ، ولكنه - كما أثبتت دراسة للمؤلف - لا يقدم للأطفال ما يهمهم من أحداث، وما يتطلعون إليه من أخبار . تاركاً الطفل المصرى وحيداً وسط ما يحدث حوله من تطورات وأحداث داخلية وخارجية . وبدلاً من أن تشبع هذه النشرة حاجته ، وتصقل شخصيته ، تقدم له نماذج غريبة من ثقافات لاتتفق مع ثقافته ، وتتناقض مع ما يراه فى مجتمعه .

والتناقض بين ما يشاهده الطفل على شاشات التلفزيون وبين الواقع المعاش المحافل بالأزمات والمشاكل ، يودى إلى اهتزاز ثقة الطفل فى هذا الجهاز الإعلامى . وقد يجعل من الطفل إنساناً مزدوج الشخصية يقول مالا يفعل ، ويظهر خلاف ما يبطن ، ويساير الآخرين ليس بالعمل ولكن بالقول .

وفى الوقت الذى تزخر فيه برامج الأطفال فى التلفزيون المصرى بالعديد من الشخصيات الغريبة على الطفل ، نجد أن الطفل الأمريكى - على سبيل المثال - ينشأ منذ نعومة أظافره على كراهية العرب ، أو فى أحسن الأحوال على احتقارهم ، وذلك من خلال برامج الأطفال التى يبثها التلفزيون الأمريكى . فى حين أننا نجد الشخصية الأمريكية - والغريبة عموماً - ونضفى عليها هالة من البطولة لنجعلها قدوة لأطفالنا .

ولقد أبدى الأطفال - فى دراسة المؤلف عن نشرة أخبار الأطفال - عدم رضائهم على هذه النشرة التى تقدم خصيصاً لهم ، وانصرف كثير منهم عنها، وطالبوا بأن يقدم فيها أخبار سياسية . وذكر (٦٥٪) من الأطفال أنهم يتابعون نشرة أخبار التلفزيون العادية . كما ذكر نصفهم أنهم يستفيدون أكثر من نشرة أخبار التلفزيون العادية (٣) . وهذه مؤشرات خطيرة تكشف عن رفض الطفل المصرى لما يقدم له من أخبار فى معظمها «خفيفة» وطريفة لاتفى بحاجته إلى المعرفة . وهى نقطة هامة دفعت المؤلف إلى محاولة التعرف على علاقة الطفل بنشرة الأخبار العادية ومدى إقباله عليها ، ودور هذه النشرة فى التنشئة السياسية للطفل المصرى . بخاصة وأنه لا توجد دراسات سابقة تعرضت لهذا الدور . فالدراسات التى تناولت التنشئة السياسية للأطفال ركزت على دور المناهج الدراسية والأسرة والصحف ، والمجلات ، أو دور وسائل الإعلام عامة . ولم تنطرق إلى التلفزيون وأخباره بصورة مفصلة .

كما أوضحت العديد من الدراسات الميدانية أن طلاب المجتمع المصرى ينصرفون عن متابعة الأخبار والبرامج السياسية المقدمة عبر وسائل الإعلام . ومن هذه الدراسات دراسة نسرين البغدادى (١٩٨٧) والتى أجريت على عينة من طلاب المجتمع المصرى بالمدارس الثانوية ، وأثبتت أن هؤلاء الطلاب لا يهتمون بممارسة الأنشطة السياسية ، ولا بمشاهدة البرامج السياسية المقدمة عبر وسائل الإعلام . حيث حظيت نسبة مشاهدة البرامج السياسية بـ (١٦,٧٪) فقط من حجم المشاهدة على الرغم من أن (٩٧,٧٪) يشاهدون التلفزيون، فى حين حظيت البرامج الترفيهية بنسبة عالية ، فمثلت الأفلام والمسلسلات نسبة (٨٤٪) (٤) .

ويمكن إرجاع هذا إلى شكل البرامج السياسية والأخبار المقدمة عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة ، حيث تقدم - غالباً - فى قالب ينفر المشاهد والمستمع من متابعتها . كما أثبتت دراسة عن التنشئة السياسية لطلاب المرحلة الثانوية الفنية تدنى المعرفة السياسية بصورة كبيرة لدى طلاب هذه المرحلة . حيث كان متوسط درجات

الطلاب على اختبار المعرفة السياسية أقل من النصف بكثير . كما بدت السلبية واللامبالاة التي يعاني منها المجتمع فى صورة مصغرة داخل المدرسة الثانوية الفنية ، حيث لم تزد نسبة المشاركين فى اتحادات الطلاب والمعسكرات المدرسية ومجلات الحائط عن ٨٪^(٥) .

وفى دراسة عن دور الاتصال فى التنشئة السياسية والاجتماعية على عينة من طلاب المدارس الاعدادية بريف مصر ، جاءت البرامج الإخبارية والسياسية فى المرتبة الرابعة من بين البرامج التى يفضل الطلاب مشاهدتها وحظيت بنسبة ١٢.٩٪ . كما توصلت الدراسة إلى أنه كلما زاد معدل استخدام الأطفال لوسائل الإعلام المختلفة ازدادت المعرفة السياسية لدى هؤلاء الأطفال . وأن هناك علاقة طردية بين مشاهدة الأطفال للبرامج الإخبارية والسياسية والاهتمام بالأحداث السياسية^(٦) .

كما وجد بعض الباحثين الأمريكيين أن الأفراد الذين يشاهدون الأخبار فى التلفزيون بصفة مستمرة تكونت لديهم معرفة جيدة بالجانب السياسى ، وأصبحوا أكثر احتمالاً للمشاركة السياسية ، ومساندة النظام السياسى أكثر من أولئك الذين لا يشاهدون الأخبار .

وقد اتفقت معظم الدراسات التى تناولت دور التلفزيون وأخباره فى التنشئة السياسية للأطفال على أهمية الأثر السياسى لأخبار التلفزيون والذى يظهر فى مسألتين محورتين هما : تقديم التلفزيون صورة حية للأخبار السياسية ولآخر ما وصلت إليه الأحداث فى الموقف السياسى القومى والعالمى ، وقيام التلفزيون بالتعليق الإخبارى وعرض وجهة نظر أو أكثر تفيد فى فهم هذه الأحداث السياسية .

وقد تناولت العديد من الدراسات العربية أهمية التلفزيون ومكانته بين وسائل الاتصال الجماهيرى . ولكن القليل منها هو الذى تطرق إلى محاولة التعرف على دوره فى التنشئة السياسية ، والكشف عن هذا الدور . وذلك من منطلق أن الترفيه هو الوظيفة الأولى للتلفزيون ، ونتيجة لتأخر الاهتمام بدور وسائل الاتصال الجماهيرى فى عملية التنشئة السياسية .

كما أن الدراسات التى تناولت موضوع التنشئة السياسية فى مصر قليلة جداً . وهذا القليل اتجه إلى دراسة أثر المدرسة والمناهج الدراسية ، ودور وسائل الإعلام عموماً . أما الدراسات التى تناولت التلفزيون ودوره فى التنشئة السياسية فى مصر فغير موجودة . وهو مادفع الباحث إلى محاولة الكشف عن هذا الدور .

وحيث إن التنشئة السياسية تتأثر بالمضمون السياسى ، لذا اتجهت الدراسة مباشرة إلى نشرات أخبار التلفزيون والتي يغلب عليها الطابع السياسى أكثر من البرامج التليفزيونية الأخرى . بخاصة وأن الدراسات الأمريكية فى هذا الصدد قد أثبتت أن الأفراد الذين يشاهدون الأخبار بصفة مستمرة تكونت لديهم معرفة جيدة بالجانب السياسى ، وأصبحوا أكثر احتمالاً للمشاركة السياسية ومساندة النظام السياسى أكثر من الأفراد الذين لا يشاهدون الأخبار.

والتنشئة السياسية عملية مستمرة ، تستمر مع الفرد فى جميع مراحل حياته . واختارت الدراسة التطبيقية مرحلة المراهقة المبكرة (١٣ - ١٥ سنة) حيث إنها من المراحل الهامة فى حياة الفرد ، ويمكن أن يظهر فيها أثر عملية التنشئة السياسية بوضوح ، حيث يبدأ الأفراد فى تلك المرحلة تحمل بعض واجبات «المواطنة» ويظهر خلالها الشعور بالمسئولية الاجتماعية ، أى محاولة فهم ومناقشة المشكلات الاجتماعية والسياسية والعامية . وتكتسب التنشئة السياسية للمراهقين وضماً متميزاً باعتبارهم الفئة التى تتحمل قيادة العمل السياسى إن آجلاً أو عاجلاً . ويبدأ الفرد خلال تلك المرحلة فى تفهم هويته ووعيه بالعالم السياسى والأحداث السياسية ، وتسبق تلك المرحلة مرحلة المشاركة الفعلية فى الحياة السياسية . كما أن مرحلة المراهقة هى مرحلة مهمة إلى حد ما من حيث الدراسات السياسية والإعلامية؛ لأنها تقع بين مرحلة الطفولة ومرحلة الشباب . ولم تتناول مرحلة المراهقة بالقدر الكافى والذى يتناسب مع أهميتها من حيث التنشئة السياسية .

وعلى ذلك فقد رأى المؤلف أهمية تسليط الأضواء على هذه القضية الهامة ، وتحديد متغيراتها وأبعادها ، وإثارة التساؤلات حولها سعياً وراء إيجاد الحلول المناسبة لها .

وقد تضمن هذا الكتاب باين رئيسيين ، الأول : خاص بإطار نظرى عن التنشئة السياسية وأخبار التلفزيون . والثانى : خاص بالدراسة التطبيقية التى أجراها المؤلف حين قدم رسالته لنيل درجة الدكتوراه فى الإعلام وثقافة الطفل عام ١٩٩١ ، مع تحديث وتطوير لما جاء فيها يتواءم مع المتغيرات التى طرأت على وسائل الاتصال الجماهيرى حتى وصلت إلى شكلها الحالى ، وما تبعه من تغير لبعض وظائفها ومنها التنشئة السياسية .

وبعد . فلئننى أمل أن يحقق هذا الكتاب الأهداف المرجوة منه ، وأن يثير اهتمام الباحثين لتناول هذا الجانب الهام من جوانب التنشئة السياسية بخاصة فى علاقتها بوسائل الإعلام . وأن يسهم فى إضافة جهد متواضع إلى المكتبة العربية فى مجال التنشئة السياسية .

والله من وراء القصد، وهو يهدى إلى سواء السبيل .

مراجع المقدمة

(١) ناهد رمزى . "الرأى العام وسيكولوجيا السياسة" ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩١ ، ص ٢٦٦ .

Gabriel Almond and Verba, "Copartive Politics", Little Brown and Company, (٢) Canada Limeted, 1981, P.5 .

(٣) محمود حسن إسماعيل . "نشرة أخبار الأطفال فى التلفزيون المصرى وعلاقتها بالجانب المعرفى والاجتماعى للطفل" ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عين شمس : معهد الدراسات العليا للطفولة ، ١٩٨٧ .

(٤) نسرین إبراهيم البغدادي . "التعليم والتنشئة السياسية فى مصر - دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ المرحلة الثانوية" ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عين شمس : كلية الآداب ، ١٩٨٧ ، ص ١٢٦ .

(٥) محمد إبراهيم أبو خليل . "التنشئة السياسية لطلاب المرحلة الثانوية الفنية بمحافظة البحيرة - دراسة تقويمية" ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة : كلية الإعلام ، ١٩٩٠ ، ص ٢٢٠ .